الفصل الرابع

البداية ثقافياً

ويتضمن:

تمهيد.

أولاً: أهمية الإصلاح الثقافى.

ثانياً: مجالات الإصلاح الثقافى.

ثالثاً: الحرية الفكرية.

رابعاً: فيلسوف الثورة.

«إننا نتطلع إلى إعادة بناء الثقافة حتى تكون العامل الأول فى التنمية إذ لا يمكن مواجهة ثقافة الفقر بفقر الثقافة»[1].

❐❐❐

«ولا أعنى بالتقدم أو بالتخلف هنا، التقدم والتخلف المادى أو الاقتصادى، فليس الاقتصاد هو المعيار الوحيد لقياس التقدم الحضارى أو التخلف الحضارى، فربما يكون أفقر شعب على وجه الأرض أكثر شعوب العالم تحضراً ورقياً فى المبادئ الدينية والأخلاقية والاجتماعية التى يؤمن بها، وربما يكون هو المعلم الذى ينبغى أن يتعلم منه أكثر شعوب الأرض تقدماً تقيناً واقتصادياً»[2].

❐❐❐

«إننى أعتقد أن الإصلاح الثقافى هو أساس التحديث وذلك الإصلاح الذى ينبغى أن يكون نقطة البداية لأى صورة أخرى من صور الإصلاح والتحديث هو الذى ينبغى أن يعمل الجميع من أجل تحقيقه لأنه يمثل جوهر المنظومة الإصلاحية ككل،

(1) د. حسن حنفى، هموم الفكر والوطن، ج2، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1998م، ص545.

(2) د. مصطفى النشار، ثقافة التقدم وتحديث مصر، الدار المصرية السعودية للنشر، القاهرة، سنة 2005م، ص19.

فبدون اقتناع الجميع بضرورة سيادة قيم العقلانية والعلم فى كل نواحى حياتنا لن يكون الطريق ممهداً أمام أى تحديث، ولذلك وجب على كل أجهزتنا الثقافية والإعلامية والتعليمية أن تركز كل الجهود على نشر ثقافة التقدم»[1].

❐❐❐

«لابد من الربط الجوهرى بين النشاط الفلسفى والحرية، فلا إمكان للفلسفة فى إطار العبودية لسلطة ما أياً كانت، ويترجم هذا على المستوى الشخصانى بما يسمى باستقلال الفيلسوف، فالفيلسوف «الموظف» أو « الأيديولوجى» أو «المرتزق» إن هو إلا فيلسوف زائف، بل هو فى النهاية عدو الفلسفة، وليس استقلال الفيلسوف مؤدياً إلى انفصاله عن المجتمع، بل هو استقلال عن السلطات القائمة فى المجتمع ليكون هو نفسه سلطة جديدة، من نوع أعلى، وربما نجح فى التعبير عن القوى الحقيقية فى الثقافة، تلك التى تتعدى مصالح السيطرة الاقتصادية والسياسية، بقدر ما يمكن ذلك، لتكون هى «الذات العليا» فى مقابل «الأنا» الفاعل فى ثنايا الأحداث اليومية»[2].

❐❐❐

«إننى أدعو شباب الأمة الواحدة، الواحدة رغم أنف

(1) د. مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة، ص80.

(2) د. عزت قرنى، الفلسفة المصرية .. شروط التأسيس، ص27 - 28.

المخططـين لفرقتها، ورغم أنف المنتفعين من تمزقها، أن يقرئوا المشروع الحضارى لفيلسوف الثورة، المفكر مصطفى النشار، بكل أبعاده.... خاصة لأنه مـشروع مترابط ومتزن ومتناغم الأجـزاء، كل مقدمة أخص تنقلك إلى مقدمـة أعم، وبإنتهاء المقدمـات تتولد النتائج، نتائج مـشروع كبير خطط لثورات الربيع العربى منذ مايزيد عن خمسـة عشر سنة، لكنه أرادها ثورات ثقافية تعالج عقيم الموروث، وتقفز فوق جثة التخلف والرجعية عابرة إلى آفاق المستقبل القريب»[1].

❐❐❐

(1) د.محمد ممدوح، فيلسوف الثورة، مقال منشور بجريدة الرؤية الإماراتية.

الفصل الرابع

البداية ثقافياً

تمهيد

لعل آخر سؤال فى الفصل السابق يقتضى إجابة غير عنوان هذا الفصل، هكذا يفكر البعض!! ومع كامل احترامى لحريتهم الفكرية إلا أن البداية حقاً لابد وأن تكون من بوابة الثقافة، لأن معظم أزماتنا التى نمر بها وتعتصر أمتنا عصراً ترجع إلى جذور ثقافية وفكرية، لا يكون الخلاص منها أبداً بغير تغيير النمطية الفكرية والثقافية السائدة بمثل ما يقول حسن حنفى: «إننا نتطلع إلى إعادة بناء الثقافة حتى تكون العامل الأول فى التنمية إذ لا يمكن مواجهة ثقافة الفقر بفقر الثقافة»[1].

وفقر الثقافة هو الإشكالية الكبرى التى نعانى منها فى حياتنا العلمية والعملية، خاصة أننا تربينا على ثقافة الروح لا ثقافة المادة، وهو ما يؤدى إلى الفقر والتأخر والتخلف عن ركب الأمم، وأوروبا أخذت بثقافة المادة وابتعدت كل البعد عن الروح فشيدت مدنية لا مثيل لها، لكنها معرّضة

(1) د. حسن حنفى، هموم الفكر والوطن، ج2، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، سنة 1998م، ص545.

للإنهيار فى أى لحظة لأنها أعلت من كل ما من شأنه المادية على كافة القيم الإنسانية والروحية، تلك المأساة التى لخصها جارودى بقوله: «ولكن التقنية لا توفر لنا أبداً إلا وسائل، ونحن الآن نواجه خطر الموت من جراء كثرة الوسائل وغياب الغايات»[1].

المأساة بكافة أبعادها ملخصة فى كلمتين، وسائل وغايات، الوسائل على الدوام مادية، ولكن الغايات تجمع بين المادة والروح مع تفوق مشهود للجانب الروحى، والشرق أخذ بالروح، لكن لايمكننا القول أنه قصد الغايات أبداً، لأنه لا غاية بدون وسيلة، بالمثل تماماً لا نتيجة بدون مقدمة، فإذ لم يتخذ من الوسائل ذريعة فالنتيجة الحتمية أنه لا غاية، ومن ثمّ تخلف الشرق وتخلفت الأمة العربية والإسلامية التى شهد لها القرآن قبل بالخيرية المعلقة فظنوها أبدية ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: 110] ظنوا هذه الخيرية مطلقة، لا قيد، ولا شرط... ولكنهم ساء ما يحكمون، وساء ما يفهمون، وضل سعيهم فى الدنيا وهم فى الآخرة هم الأخسرون. لم يقف الإسلام مكتوف اليدين أمام الحضارات..

ولم يكف الإسلام عن الدعوة إلى تشييد المدنية والأخذ بالعلم النافع الذى يمنح صاحبه القوة، بل كثيراً ما أشاد بحضارات ومدنيات شيدها الكفار الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد مثلما قال سبحانه عن حضارات عاد وثمود ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ [الفجر: 7 - 10] فهؤلاء شيدوا مدنيات

(1) جارودى، الإسلام، ص121.

كبرى يقف أمامها التاريخ إجلالاً واحتراماً، لم يُنفر الإسلام منها، ولم يكن أبداً داعياً إلى العزلة للعبادة والكف عن الضرب فى الأرض والسعى فيها، بل جاء ناصحاً للمسلمين باتخاذ سُبُل القوة التى ستوفر لهم الكرامة وتضمن لهم الحماية فقال لهم ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60].

إذن كل دعوى تظن الإسلام حجر عثرة باطلة المعنى والمبنى، فارغة الشكل والمضمون، لأن الإسلام مع المدنية وليس ضدها، مع إعمار الأرض والتماس أسباب القوة وليس أبداً مع العزلة وتكفف الناس، وما أكثر النصوص القرآنية والنبوية التى تسير فى هذا الإتجاه، داعمة قوة المسلمين ومؤيدة لتقدمهم وآخذة بأيديهم إليه.

الإسلام يدعو إلى العمل، وثقافة المسلمين، أقصد المنتسبين إلى هذا الدين العظيم تأبى إلا الكسل، أمة ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ﴾ [التوبة: 105] لا تعمل، وأمة ﴿ٱقْرَأْ﴾ لا تقرأ، وأمة الوحدة والجماعة والاعتصام ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: 103] متفرقة، إنها النقائض التى يعانى منها واقعنا، النقائض فى كل شىء، فالزيادة السكانية أزمة وليست ثروة، والحرية الفكرية فوضى وليس إبداعاً، وهكذا كل القيم مقلوبة رأساً على عقب.

من أين يبدأ العلاج إذن؟ من تغيير النمطية الثقافية التى نفكر بها، من تجديد النظرة إلى واقعنا، المتاح والمطلوب، وتغيير طريقة التفكير التى نظنها هينة وهى عند الله إثماً عظيمة، هذا ليس كل الحل، ولكنه بداية الحل، ولن يكون هناك حلولاً أبداً بغير البداية ثقافياً لهدم الأصنام الفكرية النمطية المتخلفة التى لم نجن من ورائها سوى التخلف والتأخر والدمار.

أولاً: أهمية الإصلاح الثقافى

إذا كانت لدينا القناعة الشخصية بأن أى إصلاح لواقعنا العربى والإسلامى، وأى سبيل لصناعة النهضة لابد وأن يأتى أولاً من باب الإصلاح الثقافى، فهو البداية قبل أى بداية، لذا فإن الإصلاح الثقافى مرهون بمدى وعى و إرادة الشعوب.

و يُعرف النشار الثقافة بأنها: «الإطار النظرى لمعتقدات الفرد والمجتمع الذى يعيش فيه وهى كذلك ما يبدو ماثلاً فى سلوكهم الأخلاقى والدينى والاجتماعى والاقتصادى، إذ لا ينفصل النظر عن العمل، بل هما مرآة ينعكس إحداهما على الآخر»[1].

ومن أهم دعائم استمرار الثقافة انفتاحها على الثقافات الأخرى دون تعال أو غرور، وبالتالى تُصبح ثقافة قابلة للتجدد والاستمرار بعكس الثقافة المتعصبة التى ينظر أصحابها إلى أنفسهم على أنهم الأفضل والأعظم والأعلى قدرة وقوة، فإنها تُعد ثقافة جامدة، جاحدة لما أخذته بالتأكيد من عناصر الثقافات الأخرى، ومن ثمّ فهى ثقافة مؤهلة لأن تنتحر ذاتياً، إذ لم توجد بعد الثقافة القادرة على البقاء جامدة بعناصر ثابتة لا تتغير!! فمآل عناصرها الثابتة إلى الجمود والتحجر ومن ثمّ الموت[2].

إن الثقافة بحد تعبير النشار، هى مرآة الحضارة لأى مجتمع من المجتمعات، وهى الدالة على مدى التقدم الذى أحرزه أبناء هذه الحضارة أو مدى التخلف

(1) د. مصطفى النشار، فى فلسفة الثقافة، ص17.
(2) نفس المصدر، ص19.

الذى يعانون منه، فهى دليل وعلاقة إذن، ولكن التقدم المادى أو التقنى ليس هـو كل دلائل الحضارة، لأن للحضارة جانبـاً أخر روحياً وقيمياً، وليس كله مادة، يقول النشـار: «ولا أعـنى بالتقدم أو بالتخلف هنـا، التقدم والتخلف المـادى أو الاقتصـادى، فليـس الاقتصاد هو المعيـار الوحيد لقيـاس التقدم الحضـارى أو التخلف الحضارى، فربما يكون أفقر شـعب على وجه الأرض أكثر شـعوب العالم تحضراً ورقياً فى المبادئ الدينية والأخلاقية والاجتماعية التى يؤمن بها، وربما يكون هو المعلم الذى ينبغى أن يتعلم منه أكثر شعوب الأرض تقدماً تقيناً واقتصادياً»[1].

وهذا يعنى أن المقياس المادى ليس المقياس الوحيد، بل الحضارة المتكاملة هى التى يسـير فيها الجانبان معاً، المادى والروحـى، أما تلك التى تنغلق على أحداهمـا فمصيرها إما التخلـف، و إما الانهيار، وأن السـبيل إلى تجنب ذلك المصير البدء من تغيير النمطية الثقافية السائدة، يقول النشار: «لكن الحقيقة التـى أراها من منظور اسـلامى حقيقى، يبدأ بالجـذور وليس بإنضاج الثمار قبـل أوانها، هى أن الطريق ينبغى أن يبدأ مـن الإصلاح الثقافى»[2] ثم يزيد الفكـرة وضوحـاً، بـأن الفكر هو أسـاس العمـل، وأن النهضـة والتقدم لن يكونا بغير العمل، ومـن ثمّ فإن الإصلاح الثقافى هو البداية: «إننى أعتقد أن الإصلاح الثقافى هو أسـاس التحديث وذلك الإصلاح الذى ينبغى أن يكون نقطـة البدايـة لأى صورة أخرى مـن صور الإصـلاح والتحديث هو الذى ينبغى أن يعمل الجميع من أجل تحقيقه لأنه يمثل جوهر المنظومة الإصلاحية

(1) المصدر نفسه، ص19.

(2) د. مصطفى النشار، ثقافة التقدم وتحديث مصر، الدار المصرية السعودية للنشر، القاهرة، سنة 2005م، ص9.

ككل، فبدون اقتناع الجميع بضرورة سيادة قيم العقلانية والعلم فى كل نواحى حياتنا لن يكون الطريق ممهداً أمام أى تحديث، ولذلك وجب على كل أجهزتنا الثقافية والإعلامية والتعليمية أن تركز كل الجهود على نشر ثقافة التقدم»[1].

ويُجمل النشار كافة تلك المجالات التى هى فى حاجة إلى الاصلاح الثقافى بقوله: «وبالطبع فإنى لا أمّل من تكرار أن الإصلاح والتحديث ينبغى أن يبدأ من الإصلاح والتحديث الثقافى، لأننى لازلت وسأظل أرى أن تغيير نمط الثقافة المتخلف السائد فى مجتمعنا هو نقطة البداية لأى إصلاح منشود فى كافة المجالات إذ كيف يمكن المناداة بالإصلاح السياسى فى الوقت الذى تسود فيه الثقافة القبلية، وثقافة الشللية والوساطة والمحسوبية والرشوة، وكيف يمكن لهذا الإصلاح السياسى أن يقوم فى ظل انعدام القدرة على القراءة والكتابة لدى أكثر من ثلاثين بالمائة من أفراد المجتمع وفى ظل أمية ثقافية بأبسط المبادئ السياسية لدى كل أجيال المجتمع تقريباً»[2].

إن أبسط حقوق المواطنة الخروج من مأزق ثقافة التخلف واستبدالها بقيم ثقافة التقدم، فخندق التخلف لا يمكن الوقاية منه بغير القضاء عليه[3] وتالياً صناعة نهضة قومية تبدأ من تغيير الجذور الفكرية والثقافية العقيمة شريطة توافر إرادة حقيقية لدى الجميع، إرادة صناعة التقدم وتحقيق الرفاهية، يقول النشار: «إن الناس إن أرادوا وتولدت لديهم دافعية

(1) د. مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة، ص80.
(2) د. مصطفى النشار، ثقافة التقدم وتحديث مصر، ص11
(3) د. المنصف المرزوقى، تخلف العرب، بيان للنشر والتوزيع، تونس، 2009م، ص4.

التقدم وتمسكوا بها وتعلقوا بأهدابها وسلكوا وفقاً لمبادئ التقدم وعناصر ثقافة التقدم نهضوا وحققوا التقدم بالفعل، و إن خملوا وتكاسلوا وتملكهم الإحساس بالإحباط والفشل والخوف نفروا من ثقافة التقدم وأقلعوا عنها وعاشوا على عناصر الثقافة النقيض، ثقافة التخلف والجمود»[1] .

إذن يبدأ العمل حيث يبدأ الفكر الجاد والفعّال، وتولد النهضة من رحم العمل، و يولد العمل من رحم الفكر البنّاء والثقافة غير النمطية، تلك التى تقفز على المستقبل وتسابق الزمن.

لكن يبقى السؤال، هل نستطيع النجاح فى تغيير تلك الثقافة السائدة عندنا والتى لا أجد لها توصيفاً أرقى من ثقافة التخلف، فى ظل العولمة التى أتت بخيلها ورجلها من كل فج عميق، وتأثر بها شبابنا سلبياً؟ ذاك هو السؤال الجدير بالإجابة، و إجابته تقتضى الذهاب فوراً إلى المقارنة التى عقدها النشار بين الشباب الذى لم ينل حظه سوى من سلبيات العولمة وآثارها المدمرة، وشباب فهموا العولمة وأحسنوا توظيفها جيداً لصالحهم، أولئك الذين تحدث عنهم بقوله «... وكثيراً ما يجب أن يلتحق بعد تخرجه من الجامعة سواء كانت خاصة أو حكومية و يفضل أن تكون الجامعة الأمريكية أو الألمانية أو الفرنسية مثلاً، يجب أن يلتحق بوظيفة فى شركة من الشركات الأجنبية متعددة الجنسيات حتى يحصل على راتب شهرى بالدولار يفوق ما يحصل عليه والديه فى كل سنوات خدمتهم الحكومية أياً كانت المهنة التى يعملان بها وأياً كانت سنوات خبرتهم فى هذه الوظيفة الحكومية أو تلك، وقبل كل ذلك و بعده فهو عادة ما يفضل تناول الوجبات الجاهزة

(1) د. مصطفى النشار، فى فلسفة الثقافة ص94

التـى تعدهـا مطاعم بعينها عـلى الطريقة الأمريكية ولا يُـرى إلا وفى يديه «الكانز» و«البريل» والسيجارة المارلبورو أو الكنت... إلخ.

والحقيقـة أن هذه الخصائص للشـباب المعولم إنما هـى خصائص ايجابية لشـاب نجـح فى أن يلتقط الخيط الإيجابى لعصر العولمـة ونجح فى أن يتعامل مع هذا العصر بآلياته ومؤهلاته ومن ثمّ فهو شـاب عصرى ناجح بالمقاييس المعرفية والاقتصادية و إذا ما أضاف إلى تمتعه بالمؤهلات السابقة كونه شخصاً متواضعاً تقياً متحلياً بالفضائل الأخلاقية والدينية التى تمثل العنصر الأهم فى هويتنـا الثقافية القوميـة لكان بكل المقاييس النموذج الأمثل للشـاب الذى نطمح أن يكون عليه كل أبنائنا، فنحن نطمح أن يكون شبابنا شباباً عصرياً يمتلك المعرفة بكل آليات العصر متمسـكاً بتلابيب كل مقوماته الإيجابية من تفكير علمى منظم وقدرات خاصة فى التواصل مع الآخرين ومنافسـتهم فى كل مجالات العمل المختلفة، وفى ذات الوقت يكون شبابنا متمسكاً بكل قيم هويته الأخلاقية والدينية التى تمثل عناصر هويتنا القومية هى التى ستجعله قـادراً على توظيف كل إمكانياته المعرفيـة و إبداعاته العلمية لخدمة مجتمعه وبيئته فى المقام الأول، وسـتجعله بحق ابناً لهـذا المجتمع وقوة دافعة لتقدمه ورفعته»[1].

معنى ذلك أن نمط الثقافة المعولم يملك آليات التأثير على شـبابنا، ويمكننا الإستفادة من إيجابياتها، وذلك باستغلال كمّ المعلومات والتقنية التى توفرها العولمة وتسخيرها وفقاً لمبادئنا وقيمنا السائدة، أما أن تفصلها عن تلك المبادئ وهذه القيم، فهذا هو النموذج الأسـوأ الذى لم ينل حظه سـوى من سلبيات

(1) د. مصطفى النشار، فى فلسفة الثقافة، ص60.

العولمة، يقول النشـار «وفى المقابل ستجد شباباً معولماً من نوع آخر، وهؤلاء الشـباب قد يشتركون مع أقرانهم السـابقين فى المظهر الذى يظهرون به وفى امتلاك ثقافة العصر وآلياته، لكنهم يبرعون فى تحويلها إلى تحقيق أكبر قدر من السـعادة الفردية الزائفة حيث تجد هذا الشـاب يجلس خاملاً بالساعات أمام جهاز الكمبيوتـر يتصفح المواقع الإباحية ويدير المحادثات مع فتيات ساقطات وشباب فاسد منحل أخلاقياً، ويبحث عن كل ما يُقوى لديه القدرة الجسـدية على ممارسـة الرذيلة فيتجه إلى إدمان المخدرات بأنواعها، ويبحث عن التمويل اللازم لممارسـاته اللاأخلاقية تلك بالسـطو على حسـابات غيره مـن البنوك وبطاقات الإئتمان عبر اتقان آليات الهاكرز المعروفة والمتجددة وذلك بعد أن يكون قد جرّب وقام بكل وسائل النصب والسرقة من المحيطين به ومن نظرائه»[1].

هـذان هما نموذجـا العولمة والتأثر بها، لكـن يُرجع النشـار أزمة العولمة الحقيقيـة إلى العلمنـه ونتائجهـا الكارثية التى تجلت عندنـا فى ظهور الإلحاد وعبدة الشـيطان ودعاة الانحلال الأخلاقـى، فهذه هى الآفة الكبرى، يقول النشـار: «إن هذيـن النمطين من أنماط الشـباب المعولم فى عصرنا يشـير إلى أنه من النادر أن تجد ذلك الشـاب الذى يمتلك المهارات التى تؤهله للمنافسة العالميـة فى عصر العولمـة وفى ذات الوقت تجده من الملتزمـين أخلاقياً ودينياً فمـن المقولات الشـائعة لدى الكثير من دعـاة العولمة: «أنه لا سـبيل لفصل علمنـة المجتمـع عن عولمته» وهذه إشـارة إلى أنه لا يهـم فى عصر العولمة أن نتحدث عن قيم أخلاقية ودينية لأن أساس التقدم فى هذا العصر هو امتلاك

(1) د. مصطفى النشار، فى فلسفة الثقافة، ص6

آلياتـه العلمية والتفوق الاقتصادى ويحقـق القيادة من خلالها، وعلى الجانب الآخر فالقليل من شـبابنا هو الذى انجذب ناحية الإنحراف الأخلاقى بفعل ثقافة وآليات عصر العولمة»[1].

إذن، العولمـة نعمـة ونقمة فى ذات الوقـت، يمكننا الاسـتفادة منها ثقافياً بالارتـكاز إلى قواعدنا الأخلاقية والدينية وعاداتنـا الاجتماعية والتربوية، ونقع تحت سـيف إغرائها وماديتها البحتة وحسـها المجـرد إذا فصلنا الوعى عـن الدين، وأصبح اللاوعى الأخلاقى سـائداً، فذاك مكمن الخطورة ميزان الانهيار.

ثانياً: مجالات الإصلاح الثقافى

لعلنا لا نبالغ إذا ذهبنا إلى أن كافة المجالات لدينا فى حاجة إلى تغيير نمط الثقافة السائدة، سواء فى الزراعة أو الصناعة أو العمل أو التعليم أو الإعلام، كل شىء فى حاجة إلى صناعة هذا التغيير.

ففـى ميدان العمل نريد تغيير ثقافـة البطالة وظروف البلد وتلك الثقافة السـلبية التى تلقـى دوماً باللوم على الظروف والآخريـن، لنتحول إلى ثقافة عمل حقيقية، ثقافـة تبحث وتنقب عن كل جديد فى ميدانها، ليصبح العمل لدينا مرادفاً للحياة كما يقول حسـن حنفى: «إن نمطنا الثقافى يتطلب إعادة بنـاء ثقافـة البطالـة لتصبح ثقافـة عمل من أجل خلـق قيم العلـم والإنتاج والسعى والكدح حتى يصبح العمل مرادفاً للحياة»[2].

(1) نفس المصدر، ص61.
(2) د. حسن حنفى، المرجع السابق، ص546.

ويؤكد النشـار على أن التقـدم لن يتم إلا بتغيير ثقافـة الأمة كلها، حتى القائمين فيها من عمال وبسطاء: " يظن البعض خطأ أنه يمكن لأى أمة أن تقوم بتحديث نفسها عبر تحديث الإدارة أو الصناعة أو الزراعة أو التعليم.. إلخ، والحـق فى اعتقـادى أن كل ذلك لن يتم إلا عبر تحديث ثقافة أبناء هذه الأمة أو موازيـاً له، إذ لا جدوى مـن أن تقوم بتحديث تلـك الجوانب «النخبة» وحدها، لأنه من غير الوارد مطلقاً أن نقوم بتحديث الآليات دون أن نُحدّث من سيقومون بتشغيلها وصيانتها فى كل مجال من المجالات»[1].

تغيير تلك النمطية الثقافية السـائدة هو الرهان الأكبر على صناعة نهضة شريطة أن يلتزم التغيير بكافة المجالات، حتى الإعلام، ولكم كان النشار ذا نقدٍ بناء للإعلام المصرى حين تساءل عن جدوى نقل كل المباريات والأفلام والمسلسـلات على حسـاب التربية العقلية والثقافية والروحية للمشاهدين، فلماذا لا يفكر القائمون على الإعلام فى صناعة وعى حقيقى لدى الأمة، وعى يقوم على الجذور الحضارية والفكرية والدينية الراسخة لهذه الأمة ضاربة الجذور تاريخاً وحضارةً: «ألا يفكر المسـئولون عن هذا الجهاز يوماً ما فى أن ينتقلوا على الهواء مباشرة إلى أحد المؤتمرات العلمية أو الندوات أو أن ينقلوا مناقشـة علنية لرسـالة علمية هامة مقدمة لإحدى الجامعات، مما يكون من شأنه ابراز ذلك النشاط العلمى المُضنى الذى يسهر عليه خيرة أبناء مصر من العلماء، كما يعطى القدوة الحسـنة للشباب ويقدم لهم أحد النماذج المشرفة لخدمة بلدهم، ألا يفكرون يوماً فى الانتقال بكاميراتهم إلى المواقع الإنتاجية فى المصانـع والحقول لينقلوا لنـا جانباً من عرق وكد المصرى الحقيقى لنعرف

(1) د. مصطفى النشار، ثقافة التقدم، ص57.

أن فى مصر أبطالاً حقيقيين فى مجالات العمل والإنتاج وليس فقط فى مجالات الكرة والسينما»[1].

أليس هذا مجالاً يستحق التفكير لأجل التغيير، وتكون ثمرته سريعة ومؤثرة ....

ومما زاد الطين بلة أننا فى بعض الأقطار العربية ننظر إلى الزيادة السكانية على أنها أزمة لا ثروة، عقبة للنجاح لا آلية من آلياته، وغذا إعلامنا هذه الفلسفة البغيضة، وأصبحنا نفكر فى التخلص من السكان بدلاً من استثمارهم، وبدلاً من التفكير فى صناعة نهضة حقيقية تقوم على أكتافهم، وهو ما أثار انتقاد النشار بقوله: «أصبحت قضية تحديد النسل من أخطر القضايا التى تواجهها حكومتنا بكل ما تملك من أموال تُنْفق على الدعاية بشتى الوسائل وفى مختلف أجهزة الإعلام.. ومع كل هذه الأموال التى تُنفق، ورغم كل الأجهزة التى تعمل ليل نهار من أجل الحد من زيادة النسل إذ أن كل ذلك يضيع هباءاً، فالنسل يزداد بمعدلاته شبه الثابتة سنوياً رغم اقتناع قلة من أفراد المجتمع بضرورة هذا التحديد، والسؤال الذى يدور فى ذهنى صباح مساء، كلما فكرت فى هذه القضية، لماذا لا توجه هذه الميزانية الضخمة التى ننفقها بلا فائدة على أجهزة تحديد النسل وأبواق دعايتها إلى عمل مشروعات إنتاجية ضخمة فى صحرائنا الشاسعة تستوعب هذه الأعداد الهائلة من العاطلين كما يمكن أن تستوعب أى زيادة محتملة فى نسبتهم على مدار السنين فتصبح هذه الزيادة فى النسل قوة إنتاجية قادرة على تعمير الصحارى وتخضير أراضيها وتصدير منتجاتها الزراعية والصناعية

(1) د. مصطفى النشار، بين قرنين، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة 1999م، ص161.

إلى أنحـاء العالم العربي والإفريقى، إن القـوة البشرية يمكن أن تكون - إذا أحسنا استغلالها - هى العامل الحاسم فى تقدمنا اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً لنعـود إلى مكانتنـا الحضارية الرائدة فى منطقتنا وفى العـالم، وكثيراً ما تقفز إلى ذهـنى دائماً حين إثارة هـذه القضية عبارة لجان جاك روسـو أطلقها حين أراد الإجابة على سؤال عن أفضل الحكومات بصورة مطلقة حيث قال: «أنه إذا تسـاوت جميع الظروف تكـون الحكومة التى يتكاثر فى ظلها السـكان ويعمرون البلاد دون وسائل خارجية أو التجسس أو إقامة مستعمرات هى الأفضل بكل تأكيد، والحكومة التى يقل فى ظلها الشعب ويهلك تكون هى الأسوأ»[1].

فهـل يمكننا بحق التوجه نحو تغيير جذرى لهـذه الثقافة الهدامة، ثقافة أزمة الزيادة السـكانية واسـتبدالها بمصطلح «الثروة البشريـة» لنصنع منه تقدماً كذاك الذى حققته الصين، وما أدراك ما نسبة نموها!!

وهل نقفز من تلك الثقافة البالية فى العمل واسـتغلال الوقت الاسـتغلال الأمثل والتوجه نحو كافة قيم البناء.

نعـم، كل ذلك ممكن، وكل ذلك لابـد منه، ومنه البداية، ولكن لن يصلح أى تغيـير للثقافـة السـائدة بدون وجـود حرية فكريـة حقيقيـة ينعم بها الفلاسـفة والمفكرون والنخبة ليكونوا هداة مرشـدين بحـق إلى أمراضنا، وأمناء واقعيين بحق فى وصف الدواء.

(1) د. مصطفى النشار، المصدر السابق، ص67 - 68.

ثالثاً: الحرية الفكرية

لعل وعى الشعوب مدرك تماماً أن الفكر يصنع التقدم، وأن أمة بلا فكر أو بلا مفكرين بمثابة جسد بلا قلب ولا لاروح فيه، والفكر ضد الاستبداد، بمعنى أن الفكر لا يُقيد ولا يُغل، ولا ينبغى بحال من الأحوال أن يقف أى شيء فى وجه حرية الفكر أياً كان هذا الشيء وأياً كانت سلطته، لأن معنى ذلك انهيار الأمة التى يقف فيها الاستبداد من أى نوع ضد حرية الفكر، يقول النشار: «ولا شك أن أمة بلا فكر ولا فلسفة هى أمة بلا عقل، لأن أول أدوار العقل ووظيفته الأساسية هى التفكير، والتفكير لا يكون إلا بشروط أولها الحرية، ولمّا كنا محكومين بالاستبداد فى الداخل والخارج، فالأسلم دائماً هو ألا نفكر، و إذا فكرنا فينبغى - حتى لا نقع فى المحظور - أن نكتفى بالتفكير إما فى تدبير شئوننا العملية أو فى المُفكر فيه وتكراره، والحقيقة أنه كلما استسلمنا لهذا الوضع القائم، كلما ازددنا كمجتمع وكأفراد اتجاهاً نحو الهاوية ونحو الانهيار، وكلما أدركنا أهمية الخروج من هذا الوضع الذى تجمد فيه، وفى التخلص من حالة الإبداع، كلما نجحنا فى تجاوز أزمة الجمود الذى نرزخ فيه، وفى التخلص من حالة الإحباط والانهيار الذى نشعر به.

إن إطلاق حرية التفكير والإبداع يعنى ببساطة الرغبة فى التقدم والأخذ بأسبابه على كافة الأصعدة وفى كل الاتجاهات»[1].

إننا بحق فى حاجة ماسة إلى استقلال الفيلسوف عن السلطة و إحاطته بسياج آمن من الحرية التى تضمن له السلامة وعدم المحاسبة على الأفكار

(1) د. مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة ص63

كي يبدع بحرية، أما إذا أحاط به الاستبداد السياسي والخوف من الإرهاب أو من السلطة أو من أيِ كان فإن إبداعه لن يكون إبداعاً بقدر ما يكون أدائه أشبه بأداء الموظف الحكومي في عالمنا العربي، يقول عزت قرني :" لابد من الربط الجوهري بين النشاط الفلسفي والحرية، فلا إمكان للفلسفة في إطار العبودية لسلطة ما أياً كانت، ويترجم هذا على المستوى الشخصاني بما يسمى باستقلال الفيلسوف، فالفيلسوف «الموظف» أو «الأيديولوجي» أو «المرتزق» إن هو إلا فيلسوف زائف، بل هو في النهاية عدو الفلسفة، وليس استقلال الفيلسوف مؤدياً إلى انفصاله عن المجتمع، بل هو استقلال عن السلطات القائمة في المجتمع ليكون هو نفسه سلطة جديدة، من نوع أعلى، وربما نجح في التعبير عن القوى الحقيقية في الثقافة، تلك التي تتعدى مصالح السيطرة الاقتصادية والسياسية، بقدر ما يمكن ذلك، لتكون هي «الذات العليا» في مقابل «الأنا» الفاعل في ثنايا الأحداث اليومية»[1].

ولم يقتصر الأمر على مجرد الاستبداد للحكام والتبعية للفلاسفة، بل يتحسّر النشار على انقلاب الأوضاع العلمية والفكرية جراء انعدام وعي الساسة، فقد كان الحكام والخلفاء المسلمون يزنون الكتب المترجمة ذهباً أجراً للمترجم، فكيف بالكتب المؤلفة التي كانوا يحتفون بها وبأصحابها أيما احتفاء، يقول النشار: «أما الآن فقد انقلبت الأوضاع رأساً على عقب، وأصبح المفكرون والعلماء في ذيل قائمة اهتمامات رجال السلطة وصفوة المجتمع، وأصبح يُنظر إليهم في أحسن الأحوال على أنهم أولئك المثقفون الذين إما أن يسيروا في ركاب رجال السلطة لتبرير تصرفاتهم وقراراتهم

(1) د. عزت قرني، المرجع السابق، ص28-27.

وكتابة خطبهم، و إما هم الكتّاب المزعجون الذين لا يعجبهم شيء ومن ثمّ وجب مطاردتهم وحبس أفكارهم بعيداً عن أعين الناس بشتى السُبُل المشروعة وغير المشروعة.

لقد أصبح المفكر مطارداً، والعالم مهملاً لدرجة أصبحنا معها نرى مجتمعنا وكأنه إنسان يمشي على رأسه وليس على قدمه، لقد أصبحت القدوة في مجتمعنا للاعب كرة أو لمصارع أو حتى لراقصة أو فنانة»[1] وأصبح هؤلاء هم من يؤخذ برأيهم في كل قضايا المجتمع والحياة، ومن ثمّ أصبحوا هم قادة الرأي والمقربون إلى رجال السلطة والصفوة، والملاحظ أن الصفوة الآن هم رجال الأعمال أو من يُلقبون دون وجه حق بهذا اللقب لأنهم هم الأثرياء وأصحاب الثروات التي أصبحوا معها قادرين على شراء كل شيء وأي شيء[2].

ما الحل إذن؟! استبداد من الحكام، يتبعه تبعية من الفلاسفة؟ هنا يلقى النشار المسئولية كاملة على الفلاسفة أو ما يسميهم بالتنويريين فيقول: «إن ما أتمناه من التنويريين العرب هو أن يتوقفوا عما يكتبونه الآن ليعيشوا لحظة صدق مع النفس وليتأملوا معي هذه التساؤلات: هل يحق لمفكر عربي أن يكون أداة لنشر بضاعة غربية ثبت فسادها وفشلها؟! هل يحق لمفكر عربي أن يكرس التبعية وهل يجوز لمفكر عربي مخلص - وتحت تأثير بعض ظواهر الإنحراف الفكري أو الفهم الخاطئ لبعض شباب المسلمين - أن

(1) لا يقصد النشار هنا توجيه إهانة لأصحاب هذه المهن على الإطلاق ولكنه فقط يقصد تعديل مسار القدوة لتصبح للعلماء والمفكرين حتى يمكننا تربية جيل قادر على تحمل المسئولية.

(2) د. مصطفى النشار، العلاج بالفلسفة، ص61.

يكون أداة تشارك فى الحملة على الإسلام وعلى كافة المسلمين ونحن فى عصر اشتدت فيه هذه الحملة ولم يُعد أمام الغرب من عدو يحاربونه سوى الإسلام والمسلمين؟!

وأخيراً، هل يجدر بمفكر عربى مخلص أن يكتب ويردد أفكاراً غريبة عن الإسلام دون أن يضطلع هو بدور مستقل فى دراسته دراسة متأنية واعية وبيان جوهره الحقيقى كدين يدعو للعقل وللعلم وللحرية، كدين يكرم إنسانية الإنسان ويُقدس حرماته ويرعى حرياته؟!

إن التنوير الحقيقى الذى ينبغى أن نتبناه وندعو إليه هذه الأيام هو التنوير المستند على بيان الإسلام فى وجهه وصورته الحقيقية أمام دعاة تشويهه وتشويه من يؤمنون به»[1].

إن تغيير النمطية الثقافية هو الحل للخروج من كافة هذه الأزمات، أى بداية بعيداً عن الثقافة ستكون أخطأت التوجه، لذا نجد امتلاء تراث مصطفى النشار ومؤلفاته بالتركيز على الثورة الثقافية لا الثورة السياسية، لأن العلاج لا يبدأ سياسياً أبداً بقدر ما يبدأ ثقافياً، وإن كانت البداية ثقافياً تتطلب توافر إرادة سياسية، ولكن يبقى الرهان الأكبر على صنع أى حضارة أو البدء الفعلى فى صناعة نهضة عربية مرهون بمدى الوعى الثقافى والفكرى وتجديد روافد الفكر ومنابعه وذم التقليد الأعمى والتقيد بالموروث، وإطلاق العقل نحو التجديد والإبداع، ذاك فقط هو ما يريده فيلسوف الثورة، وذاك فقط مناط البداية الصحيحة إذا شئنا تصحيح المسار.

(1) د. مصطفى النشار، ضد العولمة، ص93 - 94.

رابعاً: فيلسوف الثورة[1]

الفلسفة نعمة أم نقمة، عبء على الإنسانية أم هى رشدها الرشيد وعقلها الواعى، هى ضلال للبشرية أم هداية لعقلها الحائر وقلبها الثائر، هى أى النقيضين؟ وأى المنهجين؟

والإجابة أبسط ما يكون، يكفيها مثال واحد، لو أن البشرية فقدت عقلها فكيف تكون حياتها؟ هكذا الفلسفة بالنسبة لبنى العقل، بها يأكلون، وبها يشربون، وبها يعملون، وبها ينهضون، وبها يسعدون، وبدونها يموتون!!..

إختصاراً وإجمالاً، وبعيداً ن كلمات العاشقين للفلسفة، يمكننا القول بأنها منهج حياة، منهج لايعتريه الشك، ولا يلج بباب الجهل، ولا يغزوه الضلال أبداً، إنها سر التفضيل، ومناط التكريم لمخلوق أصبح بها سيداً على هذا الكون، فاستطاع السيطرة على ظواهره المخيفة، وطوّع الطبيعة لخدمته، وانتصر بعقله على كل معاول الهدم وكل آليات الإنهيار.....

من هنا شقت الفلسفة وجودها فى حياة الناس ومعاشهم، بل وفى آخرتهم ومعادهم، منذ فجر التاريخ والعقل البشرى ينتج ويقترح ويُقوم ويُعدل، منذ أول نداء فى تاريخ الضمير الإنسانى بعالم واحد ينعم فيه الجميع بالأمن والسلام على لسان الملك المصرى إخناتون، ثم إستمرار ذاك التعديل

(1) هذا المقال نشر بجريدة الرؤية الإماراتية بتاريخ 15أغسطس 2015 وتم اختياره من قبل المجلس الوطنى للصحافة ضمن أفضل عشرة مقالات فكرية فى الإمارات لعام 2015 ورشح لنيل جائزة الإبداع الصحفى.

والتقويم فى عصر النهضة حتى علا الغرب على الشرق، فما استيقظ الشرق إلا على قسوة الصفع على وجهه والركل بالأقدام من ذاك الغرب الذى استأسد عليه بالصنمية المادية التى ستزول حتماً من سجلات التاريخ إن عاجلاً و إن آجلاً....

ثم تجلت إرادة الحكيم العليم ببعث نهضة فكرية عربية على أيدى أحفاد الخليل إبراهيم، نهضة خالصة البناء صادقة الإرادة مخلصة العزم متيقنة من النصر، كان أولى دعائم هذه النهضة التخلص من التقليد الأعمى والتبعية الصنمية للغرب، والإستناد إلى جذور الحضارة الإسلامية، التى وُلدت الحضارة الغربية من رحمها، فما الغرب وحضارته سوى قبس من نور الحضارة الإسلامية، ولكن ليس لنا الحق فى الإحتفاء بما شيده الأجداد مالم نحذو حذوهم ونطور صنيعهم...

كانت تلك الأفكار بمثابه الإحساس الجديد الدافئ لدى شباب الفكر العربى، الشباب الذين تربوا على الحلم الأفلاطونى فى واقع مأساوى، فكانت تلك الصدمة لديه فى إنفصال الفكر عن الواقع، وتنافى القول مع العمل، فأصبحوا حيارى الفكر والرأى، وغدوا لا حرث لهم فى ظل واقع ليس فيه من جديد كل يوم سوى أزمات جديدة، ومشكلات وليدة، وأفهام عاجزة كل العجز عن تقديم الحلول و إقتراح البدائل....

ولكن الأمة لن تموت أبداً، فالله قادر على إحياء نهضتها، وقادر على بعث رفاتها بأيدى أبنائها لاسواهم، وبسواعدهم وحدهم لاغيرهم، ليأتى المفكر المصرى مصطفى النشار معلناً ثورة جديدة، ثورة لم يعهدها القوم قديماً، ولو سُئلوها لأتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً...

إنها ثورة العقل العربى المتسامح، الذى لا يريد الثأر بقدر مايريد إعادة البناء، لا يريد الرئاسة والزعامة الباطلة بقدر مايريد القيادة العادلة، لا يريد الأنانية والعنجهية ومفردات الثورة الصناعية الكئيبة بقدر مايريد التسامح مع الآخروالعفو عن الجميع، ومشاركة بنى البشر فى بناء حضارة إنسانية واعية يكون مقصودها الأول والأخير هو الإنسان...

كان ذالكم البناء الذى شيده النشار يُعرف بمفهوم «الثورة الثقافية»، أو بالإصطلاح «الثورة المعرفية والتكنولوجية» أو بالعرف «ثورة المعلومات» أو بما درج عليه العامة «حكم العلم وسيادة العلماء»، فكلها تصب فى النهاية فى إتجاه واحد، إعادة بناء الجسد على أسس من الروح، أو إعادة بناء الواقع على نور من العقل، ذاك هو مفهوم الثورة الثقافية.....

الذى يدعو إلى العجب أن هذه الثورة بمشتملاتها وهمومها وأوجاعها قد شغلت هذا المفكر العملاق منذ بدايات الألفية الثالثة، حيث خرجت كل كتبه هادفةً إعادة البناء والترميم للعزائم التى وهنت، والعقول التى ضعُفت، والهمم التى فترت، فكانت كتب «ضد العولمة» و«ما بعد العولمة» و«بين قرنين»، بمثابة ميلاد فجر جديد فى الربيع العربى الذى لم يألفه العرب من قبل لا فلسفةً ولا واقعاً، لتؤسس هذه الكتب للثورة الثقافية التى هى بداية الحل، بل هى كل الحل، وليست البداية أبداً من الثورة السياسية...

السؤال ينتقل بالضرورة من توافر إرادة البناء إلى آلية ذاك البناء، إذ يصبح السؤال كيف نصنع ثقافة التنمية ونعبر فوق جثة ثقافة التخلف؟ والإجابة على هذا السؤال قد استغرقت وقتاً طويلاً ومداداً جزيلاً مابين توضيح للعلل وبيان للماهيات ورسماً لخارطة الطريق، منذ كتاب «بين قرنين» وما تلاه من

كتب تسير فى إطار الثورة الثقافية و إعادة الثقة إلى الذات لإعادة بنائها مرة أخرى، ووصولاً إلى إكتمال المشروع النهضوى فى كتابه الأشهر والأبرز على الساحة العربية «الأورجانون العربى للمستقبل» ثم إلقاء بعض اللمحات الفكرية المتممة للمشروع القومى فى كتاب «من الثورة إلى النهضة».

إنها مسيرة عطاء لفيلسوف الثورة، ذاك الرجل الذى رسم مستقبلاً عربياً للأمة القوية، والأمة الواحدة، الأمة التى تستند إلى ثوابت التراث مستدعيةً عزيمة التجديد ومعتزمة تجديد العزيمة، ليخرج مشروع البناء الثورى فى ثياب القومية مخلفاً ورائه كل عنجهيات الإقليمية التى شرذمت الوطن الكبير، لننتقل إلى مرحلة فكرية واقعية جديدة، من الإقليمية إلى القومية، من الواحدية إلى الوحدوية، ومن الذات إلى البنذاتية...

إننى أدعو شباب الأمة الواحدة، الواحدة رغم أنف المخططين لفرقتها، ورغم أنف المنتفعين من تمزقها، أن يقرئوا المشروع الحضارى لفيلسوف الثورة، المفكر مصطفى النشار، بكل أبعاده.... خاصة لأنه مشروع مترابط ومتزن ومتناغم الأجزاء، كل مقدمة أخص تنقلك إلى مقدمة أعم، وبإنتهاء المقدمات تتولد النتائج، نتائج مشروع كبير خطط لثورات الربيع العربى منذ مايزيد عن خمسة عشر سنة، لكنه أرادها ثورات ثقافية تعالج عقيم الموروث، وتقفز فوق جثة التخلف والرجعية عابرة إلى آفاق المستقبل القريب...

وكما دعوت الشباب أدعو القادة والساسة صناع القرار لتكريم العلماء والفلاسفة المخلصين، والذين يؤرقهم واقع أمتهم التى تربوا منذ طفولتهم على أنها خير أمة أخرجت للناس، ففوجئوا بأنها أذل أمة وليس خير أمة

وزالت تلك الخيرية تحت وطأة الغرب تارة، والركون إلى الموروث أخرى، وماتت الفلسفة فى ضمائر الفلاسفة إلى حين هذا البعث الجديد.....

إن المفكر المصرى مصطفى النشار بمشروعه الحضارى للأمة العربية، يستحق بجدارة لقب «فيلسوف الثورة» لا لأن فلسفته خرجت معبرة عن واقع مؤلم، ولا لأنه وضع مشروعاً لنهضة الأمة العربية متكامل الأركان، ولكن لأنه أسس لنوع جديد من الثورات، وبدأ التأسيس له قبل الربيع العربى الذى إنقلب خريفاً ليس من ورائه سوى الرياح والأعاصير، وتنبأ بهذا الربيع العربى وتحقق، وبقيت نبؤته بإنهيار الغرب وصعود الشرق، وهى لتى ننتظرها الآن، ليقفز هذا المشروع الحضارى فوق جثة التخلف الراكدة، وليرتبط على الدوام اسم النشار بالثورة، ليصبح هو مبدعها دون قيادة، وقائدها بهذا الإبداع، وليصبح الفجر الجديد لأمتنا العربية فجر عز وفخار وعدل ورحمة، وفجر ذلة وصغار على كل معتد اثيم، تاجر بهموم البشرية، وتلاعب بمبادئ الإنسانية، فإذا به يكيل بمائة ألف مكيال، و إذا بالحق يلعنه حيثما كان، لعنات الثائرين الغاضبين، التى تريد قوة تدفعها، تلك القوة التى رسخ لها المشروع الحضارى لفيلسوف الثورة، الذى أرى معه الأمل كله لأمتنا المكلومة، و يسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريباً وكان ربك قديراً....

يبقى التساؤل قائماً، إذا كان ثمة ضرورة ملحة للبداية ثقافياً لصناعة نهضة قومية عربية إسلامية، فما الآليات العملية التى يمكنها صناعة تلك النهضة وأنّى السبيل إليها؟